An anthropological approach to the concept of social construction Among the early social anthropological thinkers (Racliffe Brown-Malinowski-Evans-Pritchard)

Dr. Eva Kharma*

(Received 9 / 5 / 2024. Accepted 11 / 6 / 2024)

□ ABSTRACT □

This research aims, first and last, to provide a methodological/anthropological statement on the concept of social construction in the thought of the early anthropologists (Racliffe Brown, Malinowski, Evans-Pritchard), in light of explaining the meaning of the concept of social construction according to them, their additions, and the new implications they brought about this concept Then employ this analytical approach to explain the intellectual concepts that are related to the concept of social structure, as they expressed it..

Keywords: Anthropological approach- Social construction- anthropologist

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor, Department of sociology, Faculty of Arts Humanities, Tishreen University, Syria**

مقاربة أنثروبولوجية لمفهوم البناء الاجتماعي
عند المفكرين الأنثروبولوجيين الأوائل(راكليف براون–مالينوفسكي–إيفانز بريتشارد)

د. ايفا خرما*

(تاريخ الإيداع 9 / 5 / 2024. قبل للنشر في 11 / 6 / 2024)

□ ملخّص □

يهدف هذا البحث أولاً وأخيراً إلى القول المنهجي/الأنثروبولوجي في مفهوم البناء الاجتماعي في فكر الأنثروبولوجيين الأوائل (راكليف براون، مالينوفسكي، إيفانز بريتشارد)، على ضوء شرح معنى مفهوم البناء الاجتماعي عندهم، وإضافاتهم، وما أتوا به من مضامين جديدة حول هذا المفهوم. ومن ثم توظيف هذه المقاربة التحليلية في شرح المفاهيم الفكرية التي لها علاقة بمفهوم البناء الاجتماعي، كما عبَّروا عنها.

الكلمات المفتاحية: مقاربة أنثروبولوجية– البناء الاجتماعي–الأنثروبولوجيا

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين– سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY–NC–SA 04

*أستاذ مساعد – قسم علم الاجتماع–كلية الآداب– جامعة تشرين– سورية

مقدمة

بدأت الدراسة بالاهتمام بمفهوم البناء الاجتماعي عند المفكرين الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الأوائل (راكليف براون، إيفانز بريتشارد، مالينوفسكي) انطلاقاً من رؤية أنثروبولوجية تحليلية بحتة، تمثَّلت بالكشف عن أهمية الدور الأنثروبولوجي لهؤلاء الرواد، في إعادة صياغة هذا المفهوم أنثروبولوجياً بما يتسق والتركيب البنائي للمجتمعات، وذلك بإيجاد مفاهيم ومضامين جديدة لمفهوم البناء تتوافق والمكوّنات الاجتماعية والعقائدية والفكرية والجغرافية للمجتمعات، وما يسميه العلم الأنثروبولوجي بالخصائص الاجتماعية التاريخية.

فكانت هذه الدراسة الأنثروبولوجية الاجتماعية لـ (مفهوم البناء الاجتماعي Social Construction) عند المفكرين الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الأوائل (راكليف براون، إيفانز بريتشارد، مالينوفسكي) – موضوع بحثنا الآن– التي هدفت إلى تبيُّن المساهمات الفكرية لهؤلاء المفكرين في إطار العلم الأنثروبولوجي، والتي يُفترض أنْ تُسهم في التأسيس لأنثروبولوجيا متخصصة في شؤون وقضايا وهموم وتحديات ومستقبل المجتمعات، من خلال معرفة أوجه العلاقات البنائية بين المكوِّنات الأساسية لهذا المفهوم، وبالتالي الكشف عن آليات الاعتماد الوظيفي فيما بينها، والتي كرَّست ومازالت تُكرِّس استقرار المجتمعات حتى هذه اللحظة واللحظات القادمة.

من هنا عمدت الدراسة إلى التدليل على التفرُّد المنهجي والفكري لكل باحث في إطار فهمه لماهية البناء الاجتماعي العربي، وما أتى به من جديد في هذا المضمار العلمي، فضلاً عن الرغبة بمعرفة الحجم الفعلي للإسهامات الأوّلية، وللدور الذي قام به كل مفكر على حِدَة، وبالتالي الوصول إلى مقاربة فكرية تكشف عن أوجه الاختلاف والتقارب بين أقطاب الروَّاد الأوائل للأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، ابتداءً بأول رُوَّادها "رادكليف براون"، إلى "مالينوفسكي" وصولاً إلى عرض أفكار "إيفانز بريتشارد"، باعتباره تتلمذ على يد "مالينوفسكي".

مشكلة الدراسة

يُعد مفهوم البناء الاجتماعي Social Construction – الذي انتشر بفضل علماء الأنثروبولوجيا الأوائل، وخاصة البريطانيين منهم – من المفاهيم المهمة في نطاق العلوم الاجتماعية الأنثروبولوجية. فقد تعددت آراؤهم حول نشأة المجتمعات الإنسانية، وتنوعت مناهجهم في دراستها؛ فضلاً عن تركز اهتمام غالبيتهم في الخوض والتنقيب عن ماهية البناء الاجتماعي للمجتمعات البشرية، والتطلع إلى تحليل أنساقه ونظمه المكوّن منها. لذا نجد بعضهم قد اتجه في بداية الأمر لدراسة المجتمعات الأقل تطوراً وتقدماً (**المجتمعات البدائية** Primitive Societies)، مرتكزين بذلك على عاملين اثنين هما:

1– إنّ البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات أكثر بساطة وأقل تعقيداً، وفيه دلالات ومعطيات تفيد في دراسة المجتمعات الأكثر تعقيداً وتطوراً.

2– إنّ النزعة الاستعمارية التي كانت تُحرّك جشع قادة الدول الكبرى – آنذاك – كانت كفيلة بدورها بزرع بذور الرغبة الجامحة لدى الساسة في إيجاد السبل والآليات المناسبة من أجل امتصاص المزيد من خيرات الشعوب المستضعفة والمتخلفة بأقل التكاليف الممكنة. ما اقتضى بالضرورة التوجُّه لدراسة بُنى هذه الشعوب للوقوف على عاداتها وتقاليدها الاجتماعية، وتبيُّن نقاط الضعف والقوة فيها، لإيجاد السبل الكفيلة بتسهيل عملية اختراقها كمقدمة لاحتلالها وإحكام الهيمنة عليها.

ويبدو أنّ كلّ تلك الدوافع أو حتى بعضها – آنذاك – كانت وراء ظهور ما سُمي بـ (الدراسات الأنثروبولوجية المتخصصة، التي أخذت تتناول المجتمعات البدائية. وهذا يعني أنّ دراسة البناء الاجتماعي لتلك المجتمعات كانت قد ارتبطت فعلياً بمصالح بلدان بعض المفكرين المأخوذين بتوجهات الأفكار السياسية الاستعمارية بشكل أو بآخر، والتي أُطلِقَ عليها تاريخياً (المرحلة الاستعمارية). وبالنتيجة كان يُنظر إلى نشأة مفهوم البناء الاجتماعي– بحسب بعض الدوائر والجهات البحثية والأكاديمية– على أنّها نشأة غربية محضة، علماً أنّ المفكر العربي "ابن خلدون" كان له جهده – المسجَّل له فكرياً وتاريخياً – في التنويه إلى جذور هذا المفهوم.

وإنّ الحديث في أقدمية مفهوم (البناء الاجتماعي) له مقاصده المتمثلة بأنّ الفكر الاجتماعي العربي قد حقق السبق بالقول المنهجي بشأن مفهوم هذا البناء، وهذا ما اتضح جلياً عند المفكر العربي (ابن خلدون). وإنّ التأكيد على ذلك لابدَّ أنْ يندرج في خانة إشهار حقيقة مفادها أنّ الفكر الاجتماعي في الغرب قد استفاد فعلاً من جهد "ابن خلدون" في تشخيصه للبناء الاجتماعي في المجتمع البدوي، ومن ثم عمل على تطويره، بل قُل إنّ علماء الغرب أتوا بمعانٍ ومفاهيم اجتماعية جديدة تخص المجتمعات التي قاموا بدراستها وتحليلها، ومن ثم تفسيرها؛ كما قاموا بتكوين مضامين اجتماعية جديدة، وتقديم إضافات فكرية سيكون لها شأنها في تطوير العلم الاجتماعي/الأنثروبولوجي، وهذا ما نلحظه جلياً عندما تطرّق (إيفانز بريتشارد) إلى مفهومي الانشقاق والالتحام – المستوحى من دراسته الميدانية لقبائل (النويِّر) في جنوب السودان – ما يؤكد على أنّها تطوير لـ (مفهوم العصبية) عند ابن خلدون.

كما لم يخفَ على أحد كيف برزت تأثيرات تلك الفكرة ذاتها في الكثير من النظريات الاجتماعية الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وهذا ما اتضح أيضاً عند كل من (**مونتيسكو** Montescu)، و(**سان سيمون** San Simon)، و(**أوغست كونت** Auguste Comte) وآخرين غيرهم، ولكن بدرجات مختلفة أو متباينة نسبياً، إلاّ أنَّ مؤلفات أولئك العلماء لم تتمكن من إعطاء صورة عامة واضحة المعالم عن الكثير من المفاهيم الاجتماعية، ومنها مفهوم (البناء الاجتماعي)، وذلك بحكم أنّ كتاباتهم – حول بلورة أسس نظرية اجتماعية شاملة – كانت تصطدم دوماً بتأثير نزعاتهم الفكرية والظروف الاجتماعية التي أحاطت بنشأتهم وتكوينهم الفكري، حيث يُؤخذ عليها بأنّها أفكارٌ كانت تفتقر إلى الدقة العلمية، كونها كانت تتخم بشتى المعلومات والوقائع الجزئية من جهة، وميلها وتوجهها إلى التعميم في الحديث عن المجتمع البشري بأسره، وعن طبيعة الثقافة السائدة فيه بشكل عام، من جهة أخرى.

إلاّ أنّه، في مرحلة تاريخية لاحقة، بدأت فكرة (البناء) تتبلور شيئاً فشيئاً على أيدي بعض علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعيين، الذين أخذت تَنْصَبُّ جلّ اهتماماتهم على دراسة طبيعة البناء الاجتماعي للمجتمعات الإنسانية البسيطة، ومن ثم تحليلها أنثروبولوجياً، بذلك بدأ يظهر آنذاك ما يُسمى بـ (**الاتجاه البنائي الوظيفي** Formative Career Direction) أو (المدرسة البنائية الوظيفية)، التي تُعدُّ من أقوى مدارس الأنثروبولوجيا في الوقت الحاضر، كما ينظر معظم أصحاب تلك المدرسة – ومن أشهر روّادها (رادكليف براون ومالينوفسكي) – إلى المجتمعات الإنسانية على أنّها "نسق اجتماعي تعتمد أجزاؤها بعضها على بعض، ويدخل كل جزء منها في عدد من العلاقات الضرورية للوصول إلى القوانين التي تنظم الحياة الاجتماعية. بينما يقف "بريتشارد" موقف المعارض من "براون" في فهمه للبناء الاجتماعي، إذ يرى أنّ العلاقات الاجتماعية التي تربط الجماعات والتي تتميز بالثبات والاستقرار هي التي تدخل في البناء (انظر: بريتشارد، 1960، 42). لذلك استبعد العلاقات الثنائية التي ذكرها "براون"، لأنّ العلاقة الثنائية – حسب رأيه – هي علاقة طارئة مؤقتة قد تنتهي بموت أحد الطرفين. كما ويستبعد "بريتشارد" من البناء أيضاً الزمر الاجتماعية الصغيرة، مثل (الأسرة) التي تتكون من جيلين، لأنّها لا تلبث أنْ تختفي كوحدة بنائية متمايزة. لهذا فالعائلة – وفق

تصوّره – ليست جماعة بنائية. لأنّ الذي يدخل في البناء عنده، فهو "الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لوقت كافٍ، بحيث يستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات رغم التغيرات التي تحدث للأفراد الذين يكوّنون تلك الجماعات" (العادلي، 1984، 95). وبذلك تكون الجماعات التي تحدّث عنها "بريتشارد" هي (القبائل والعشائر) التي تستمر في الوجود أجيالاً طويلة، رغم ما يطرأ على مكوّناتها من تغيّرات.

وبكلمات أخرى فإنّ علماء الأنثروبولوجيا كانوا قد اختلفوا في تعريف مفهوم البناء الاجتماعي، حيث استُخدمَ بمعانٍ كثيرة متباينة. ومع ذلك "هناك بعض العناصر الأساسية التي يكاد يُجْمِعُ عليها معظم العلماء في الأنثروبولوجيا، وبخاصة الذين يهتمون بالدراسات الميدانية في المجتمعات المحلية الصغيرة، التي يسْهُل فيها تحديد ملامح البناء الاجتماعي، والتعرّف على عناصره المكونة" (إسماعيل، 1982، 228).

من هنا يمكن القول: بأن مشكلة بحثنا تكمن في التطلع بشغف للإحاطة بالتفاصيل المرتبطة بنشأة مفهوم البناء الاجتماعي، والدور المهم الذي قامت به المدرسة البنائية الوظيفية في ترسيخ هذا المفهوم أنثروبولوجياً، فإنّه ربما تعذّر الأمر في الإجادة من جهة، والإحاطة بأبعاد هذه المسألة الفكرية، من جهة أخرى، إلا من خلال تقديم عرض مفصَّل لأفكار أهم أقطاب الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، التي كانت وفيّة لإخراج صورة البناء الاجتماعي على هذه الشاكلة والمضمون الذي استقر عليه، رغم مضي أكثر من قرن من الزمن على نشأته الأنثروبولوجية، ودور كل عالِم من هذا الرعيل في هذا الاتجاه، وما قدَّم من إسهامات جليلة في مجال بلورة مفهوم البناء الاجتماعي بشكل يتناسب والأهداف الفكرية البنيوية الاجتماعية لهذا المفهوم الوليد؛ فضلاً عن الرغبة بمعرفة الحجم الفعلي للإسهامات الأوّلية، وللدور الذي قام به كل مفكر على حِدَة، وبالتالي الوصول إلى مقاربة فكرية تكشف عن أوجه الاختلاف والتقارب بين أقطاب الروَّاد الأوائل للأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية، ابتداءً بأول رُوَّادها "رادكليف براون"، إلى "مالينوفسكي" وصولاً إلى عرض أفكار "إيفانز بريتشارد"، باعتباره تتلمذ على يد "مالينوفسكي".

أهمية الدراسة Significance Of The Study

تأتي أهمية دراسة مفهوم البناء الاجتماعي، عند رواد الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الأوائل من خلال الآتي:

محاولة تقديم مقاربة أنثروبولوجية تحليلية لـ (مفهوم البناء الاجتماعي) عند المفكرين الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الأوائل(ألفرد رادكليف براون، برونسيلا مالينوفسكي، إيفانز بريتشارد)، تمهيداً لتفسير مضامينه ووضع المعاني الفكرية له، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لابد من ضرورة الخوض بأعماق هذا المجال لمعرفة الإضافات التي قدَّمت في نطاق الأنثروبولوجيا الاجتماعية، لأنّ مهمة العلم الأنثروبولوجي لا تكمُن في وضع المعاني للظواهر البنائية، وما يتأتى عنها من مفاهيم ومقولات ومصطلحات ... إلخ، للإفادة منها فحسب، بل والبناء عليها والإسهام في تطويرها أيضاً؛ الأمر الذي سيساعد على بلورة اتجاهات نظرية وفكرية أكثر اقتراباً وتوجهاً لدراسة المجتمعات، لأنّ أي نظرية لن يُكتب لها أنْ يتشكل بنيانها الفكري إلاّ بالتراكم النوعي، والإفادة من الآراء السابقة المقدَّمة في هذا السياق، وذلك ضماناً لتحقيق الإضافات الفكرية إليها.

1- لفتَ الانتباه إلى أحد الموضوعات الغنية المهمة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ألا وهو مفهوم **(البناء الاجتماعي)**؛ هذا فضلاً عمَّا يمكن أنْ تقدمه هذه الدراسة من غنى بآليات المنهج والنقد الأنثروبولوجي، والتي يُؤمل أنْ تفيد كمدخل إلى الأنثروبولوجيا النقدية.

أهداف الدراسة Aims Of The Study

يهدف هذا البحث أولاً وأخيراً إلى القول المنهجي/الأنثروبولوجي في **مفهوم البناء الاجتماعي** في فكر الأنثروبولوجيين الأوائل (راكليف براون، مالينوفسكي، إيفانز بريتشارد)، على ضوء شرح معنى مفهوم البناء الاجتماعي عندهم، وإضافاتهم، وما أتوا به من مضامين جديدة حول هذا المفهوم. ومن ثم توظيف هذه المقاربة التحليلية في شرح المفاهيم الفكرية التي لها علاقة بمفهوم البناء الاجتماعي، كما عبَّروا عنها.

الدراسات السابقة References Studies

1- دراسة بعنوان (**البناء الاجتماعي**) للباحث "**محمد فؤاد حجازي**"، عام 1982م، وهو **بحث نظري** يهدف إلى تقديم دراسة **اجتماعية حول مفهوم (البناء الاجتماعي) من وجهة النظر السوسيولوجية**، انطلاقاً من رؤية أنّ هذا المفهوم قد نشأ على أيدي علماء الأنثروبولوجيا، وبالتالي ما كُتِبَ عن هذا المفهوم باللغات الأجنبية كان قد كُتب من وجهة نظر أنثروبولوجية. لذلك نجد أنّ الباحث قد اجتهد في البحث عن المفاهيم الأساسية المكوّنة للبناء الاجتماعي من وجهة النظر السوسيولوجية، ثم بعد ذلك تقدّم بترتيب وتنسيق هذه المفاهيم، بحيث تنتظم معاً لتشكل بناءً اجتماعياً، فالمجتمع عنده ما هو :إلاَّ شبكة من العلاقات المنظمة التي تنظم علاقات الأجزاء بالكل، ومن ناحية أخرى ذات ترتيب معين ترتبط طبقاً له عناصر الحياة الاجتماعية، ما يجعل من المجتمع نسقاً متكاملاً، وفكرة النسق المتكامل هي المعنى المتضمن في فكرة البناء الاجتماعي. إضافة إلى أنّ النسق عنده عبارة عن مجموعة من الوحدات أو العناصر ذات العلاقات النشطة والتي تعمل بأسلوب كوحدة مترابطة ثم تعرَّض الباحث لتعاريف عدد من علماء الاجتماع الأوائل الذين تصدوا لدراسة فكرة المجتمع كنسق أو بناء اجتماعي أمثال (**مونتسكيو، هربرت سبنسر، دوركايم**). وقد توصل الباحث إلى قناعة فكرية تتمحور حول أنّ الباحث الاجتماعي يجب أن يهتم – عند دراسة الأبنية الاجتماعية – بتحليل العلاقات الاجتماعية، والكشف عن العوامل التي تؤثر في خط سير هذه العلاقات دون حدوث أي شكل من أشكال الصراع، أو الاضطراب الاجتماعي، بهدف محافظة المجتمع على آليات سير الحياة الاجتماعية دون منغّصات أو اضطرابات قد تهدّد أمنه، وهذا برأيه ما يحقق قوة المجتمع، ويضمن استقراره. واعتبر أنّ القيم والمعايير أدوات فعّالة في ترسيخ قيام المجتمع، فالمعايير بدورها هي إحدى العناصر المهمة المكوِّنة للبناء الاجتماعي. ويؤكد "حجازي" أنّ مجتمعاً بلا معايير لن يستطيع الاستمرار في البقاء، فحيث لا يكون هناك معايير لن يكون هناك بناء اجتماعي. وبهذا تُعدّ (المعايير) أحد أهم المفاهيم التي ركز عليها الباحث في تفسيره للبناء الاجتماعي. وهذا ما تمَّت ملاحظته في سياق عرضه للفصل الأول من هذه الدراسة.

كما تعرَّض أيضاً لدراسة مفهوم (**المكانة الاجتماعية**) كجزء مهم من البناء الاجتماعي؛ فضلاً عن دراسة خصوصية ظاهرة (الجماعات المنظّمة) التي أجمع علماء الاجتماع على إطلاق مصطلح (**المنظمات**) عليها. أمّا المفهوم الثاني الذي يساهم بشكل كبير في بناء المجتمع – وفق رأيه، والذي له علاقة وثيقة بالمعايير – هي ظاهرة (**المكانة الاجتماعية والدور الاجتماعي**). فمفهوما المكانة والدور يُعدَّان مفهومين محوريين في علم الاجتماع لما لهما من أهمية في معرفة السلوك المتوقع، ومن ثم إحداث الاطِّراد والاتِّساق في الحياة الاجتماعية.

وقد تمحور **الفصل الرابع** حول (**النظم الاجتماعية**)، إذ تُعدّ النظم الوحدات الأساسية في البناء الاجتماعي، فهي معايير للسلوك، ومن ثم فهي توفر الاستقرار والاطِّراد والاستمرار وإمكانية التنبؤ، ومن ناحية أخرى، تتشابك النظم الاجتماعية وتتداخل مكونة نسيجاً متماسكاً.

أمّا **الفصل الخامس** فقد تمحور حول (**الثقافة وعلاقتها بالبناء الاجتماعي**)، إذ عمد الباحث إلى تبيان العلاقة بين النظم الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعي والثقافي، وخاصة أنّ النظم الاجتماعية هي صانعة الثقافة، وأنّ التغير الثقافي ما هو إلا تغير للنظم الاجتماعية، أي إنّه تغير بنائي ينعكس أثره على تغير السمات الثقافية، حسب رأي حجازي.

وما يُؤخذ على هذه الدراسة إنها انطلقت في تحليلاتها من قراءة سوسيولوجية لفهم المجتمع، عندما أعطى الباحث لمفهوم البناء الاجتماعي معاني تنسجم مع تلك الرؤية السوسيولوجية، من خلال تقسيمه للبناء الاجتماعي إلى جملة من المكوّنات البنائية تمثَّلت بـ (المعايير، المكانة والدور، الجماعات المنظمة، النظم الاجتماعية، الثقافة)، وهذا يخالف أو يتقاطع مع القراءة الأنثروبولوجية لمفهوم البناء الاجتماعي، إذ إنّ (المعايير والمكانة والأدوار والجماعات المنظمة) ما هي إلاّ أجزاءٌ من النسق الاجتماعي الأكبر، وبالتالي فإنّ النسق الثقافي يشكل بدوره أحد مكوِّنات البناء الاجتماعي. ولذلك جاءت معطيات الدراسة مختلفة مع القراءة الأنثروبولوجية لمفهوم البناء الاجتماعي، التي يُقسّم فيها البناء الاجتماعي إلى أنساق ونظم، ومن ثم نظم جزئية أصغر (عناصر)، وبالتالي تستوجب دراستها في ضوء آليات التساند الوظيفي المتبادل بين هذه النظم، التي تحقق استقرار المجتمع واستمرار وجوده إلى ما لانهاية.

بهذا يمكن النظر إلى هذه الدراسة من منظور الإفادة منها – بشكل أو بآخر– في المقاربة التي سنجريها بين مفهوم البناء الاجتماعي من وجهة نظر أنثروبولوجية، ومفهوم البناء الاجتماعي من وجهة النظر السوسيولوجية، هذا من جهة، أما من جهة ثانية، فإنّ هذه الدراسة تندرج ضمن محاولة جدية لدراسة البناء الاجتماعي من وجهة نظر سوسيولوجية، وخاصة أنّ المكتبة العربية ما زالت تفتقر إلى دراسات تتناول مفاهيم البناء الاجتماعي من وجهة نظر سوسيو/ أنثروبولوجية.

مفاهيم الدراسة Concepts Of The Study

يُعدّ تحديد المفاهيم الخطوة الأولى المهمة والأساسية في التحليل والمعرفة، "فمن مستلزمات الدقة في العلم وضع تعريفات واضحة ومحددة لكل مفهوم أو مصطلح، يستخدمه العلماء والباحثون في كتاباتهم ودراساتهم" (شفيق، 1998، 62).

من هنا ستتناول الدراسة بالتحليل المفاهيم النظرية البنائية التي استخدمها المفكرين في تفسيرهم للبناء الاجتماعي للمجتمعات.

1–**البناء الاجتماعي Social Construction**: "هو تصور المجتمع كوحدة متكاملة متماسكة تتمتع بدرجة عالية من الاستمرار في الوجود، ولكنها تنقسم في الوقت ذاته من الداخل إلى عدد من الوحدات الصغيرة المكونة التي تتفاعل معاً وتتساند تساندا وظيفياً بطريقة تكفل المحافظة على كيان المجتمع واستمرار بنائه" (أبو زيد، 1967 ،1).

2–**النسق Format**: هو "النظام الاجتماعي المعقد الذي يمكن تحليله إلى عدد من النظم، والتي يمكن بدوره تحليل كل منها إلى بعض النظم الاجتماعية الجزئية، أو إلى عدد من العلاقات الاجتماعية المتشابكة" (أبو زيد،1967، 5).

3–**المنهج الوظيفي Function Based Approach**: إنّ المنهج الوظيفي يفترض بالضرورة "وجود علاقات متبادلة بين كل الظواهر والنظم السائدة في المجتمع" (أبو زيد، 1967، 4). وقد استُخدمت كلمة وظيفة وما زالت تستخدم في علوم مختلفة وبمعانٍ عديدة، إلا أن الوظيفة الاجتماعية، من المنظور السوسيو/أنثروبولوجي يقصد بها "الدور الذي يلعبه النظام في البناء الاجتماعي الشامل" (أبو زيد،1976، 69).

4-**الأنثروبولوجيا الاجتماعية Social Anthropology:** تهتم الأنثروبولوجية الاجتماعية بدراسة "السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية، كـ (العائلة ونسق القرابة والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية وغيرها)، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أم في المجتمعات التاريخية التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة" (أبو زيد، 1978، 10).

5-**النظام الاجتماعي Social System:** هو"شبكة معقدة من العلاقات التي تحتاج إلى كثير من الجهد لتحليلها وفهمها، فهو يرتبط دائماً بمجتمع محلي معين أو بجماعة معينة بالذات بحيث يسود فيها ويحدد لها سلوكها الاجتماعي ويرسم لها علاقاتها الاجتماعية، سواء بين الأفراد والزمر الاجتماعية التي ينقسم إليها هذا المجتمع المحلي، أو مع غيره من المجتمعات" (أبو زيد، 1976، 143).

6-**النظم الاجتماعية Social Systems** : هي "تقسيمات للعلاقات وأنماط السلوك المقنَّنة التي يعترف بها المجتمع ويُقرّها والتي بالتالي تدخل في تكوين البناء الاجتماعي" (أبو زيد، 1976، 180).

7-**الأيكولوجيا Ecology:** وهي تعني تلك "العلاقة بين السكان والبيئة التي يعيشون فيها" (سميث، 1998، 189).

حدود الدراسة Limitations Of The Study:

لطالما أنَّ البناء الاجتماعي عند **المفكرين الأنثروبولوجيين الأوائل** يشكل محور دراستنا الحالية، فهذا يعني أنّه يشكل الحدود الدراسية الأساسية لهذا البحث، بالإضافة إلى المفاهيم التي ترتبط به على نحو وآخر، وعلى وجه التحديد (الأنساق والحياة الاجتماعية، والنشاط الثقافي ... إلخ)، لكن في إطار التحليل والتفسير الأنثروبولوجي لمفهوم (البناء الاجتماعي).

منهج الدراسة Methodology Of The Study

يُقصد بالمنهج "الطريقة المنظمة التي يتبعها الباحث خلال دراسة الحالة أو الموضوع الذي اختاره لدراسته" (دياب، 2006، 53). والمنهج الذي ستعتمده الدراسة هو **(منهج التحليل الأنثروبولوجي)**، الذي يهدف إلى إعطاء تفسير أنثروبولوجي لمفهوم البناء الاجتماعي عند المفكرين الأنثروبولوجيين الأوائل، وذلك بالاعتماد على كل من المناهج العلمية الآتية:

1-**المنهج المقارن:**

يُعدّ المنهج المقارن خطوة مهمة في الدراسات العلمية للنظم الاجتماعية، حيث يقوم فيه الباحث الأنثروبولوجي بمقارنة ما سجّله، وما كتبه عن مجتمع معين بمجتمع آخر، قد يشابهه في التنظيم الاجتماعي والثقافي، أو قد يتباين عنه في الفترة الزمنية نفسها، أو أنْ تتم هذه المقارنة بين شكلي النظام في المجتمع نفسه، في فترتين زمنيتين متعاقبتين، والمقاربة التي نحن بصددها بين مفهوم (البناء الاجتماعي) عند بعض العلماء الأنثروبولوجيين الغربيين (رادكليف براون ومالينوفسكي وإيفانز بريتشارد، تستوجب بالضرورة استخدام هذا المنهج، بهدف معرفة أوجه التشابه والاختلاف بين كل من الرؤيتين، وما أضافه كل منهما إلى البناء الاجتماعي.

2-**المنهج التاريخي:**

إنَّ تعقب مفهوم البناء الاجتماعي – منذ نشأته في الماضي وما استُنبط له من مفاهيم ومصطلحات كثيرة ومتباينة من قِبل بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا – يكون بهدف فهم أوجه التشابه والتباين أو الاختلاف بين فكرين أو منظومتين أو تيارين أو أكثر، وهذا ما أُفترِضَ أنْ تتطلبه هذه الدراسة؛ الأمر الذي اقتضى استخدام هذا المنهج،

حيث "يُستخدَم المنهج التاريخي للحصول على أنواع من المعرفة، عن طريق الماضي بالاعتماد على عدد من المصادر مثل (الكتب، الوثائق ...)". (شفيق، 1998، 95).

مفهوم البناء الاجتماعي عند المفكرين الأنثروبولوجيين الاجتماعيين الأوائل:

لقد نشأ مفهوم البناء الاجتماعي في أحضان ما سمي بـ (الاتجاه البنائي الوظيفي) في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وترعرع على يدي العالمين البريطانيين "براون" و "مالينوفسكي"، من خلال ما قدَّماه في هذا المضمار، من أفكار ودراسات نظرية وحقلية؛ وقد أشرنا بأنّ الدعائم المتينة لملامح الاتجاه البنائي الوظيفي لم تتبلور مقوَماتها في البداية، إلا على يد العالم "مالينوفسكي" 1884–1942، بينما يرى البعض بأنّ "براون" هو صاحب التأثير الأكبر في صياغة النظرية الوظيفية البنائية وتقويمها، وليس سواه من العلماء الأوائل.

1– مفهوم البناء الاجتماعي عند (ألفرد ريجينالد رادكليف براون Alfred Reginald Radcliffe Brown 1881–1955):

يرتكز التصور البنائي للمجتمع، من منظور "براون"، على "مفهوم الجماعة البنائية الذي يشكِّل القاعدة الأساسية للتصور البنائي لشبكة العلاقات الاجتماعية، والذي يستند بدوره على مفهوم المركز الاجتماعي" (براون، 1960، 17). وليس من شك في أنّ نظريته في البناء الاجتماعي صادرة أصلاً من رأيه في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، واعتبارها فرعاً من العلم الطبيعي، يتبع مناهج ذلك العلم الذي يقوم على الملاحظة والاستقراء، بقصد الوصول إلى قوانين اجتماعية عامة وكلِّية.

من هذه الرؤية الفكرية، يستخلص "براون" **تعريفه لمفهوم البناء الاجتماعي الذي يحتوي في مضمونه على ثلاث ظواهر اجتماعية، وهي ":**

أ– يشتمل المفهوم على نمط معيّن من الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لفترة كافية من الزمن، وهي الأشكال المورفولوجية للمجتمع الإنساني، والتي تمثل تجمُّع الأنساق في وحدات اجتماعية مختلفة الأحجام.

ب–إنّ كل العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين شخص وآخر، كـ (العلاقة التي تقوم بين الأب والابن، أو بين الأخ والأخت، أو بين العم وابن أخيه... إلخ)، هي جزء من النظام القرابي في المجتمعات البسيطة (غير المعقدة)، والتي اصطُلح على تسميتها (المجتمعات البدائية)، وهو أحد أهم النظم الاجتماعية، المكوّنة لمفهوم البناء، وذلك لكونه هو الذي يحدّد شبكة العلاقات الاجتماعية للمجتمع.

ت–يشتمل مفهوم البناء على آليات التباين والاختلاف القائمة بين الأفراد بأدوارهم الاجتماعية، فالاختلاف في الدور لا بدّ أنْ يتبعه اختلاف في المكانة والمراكز الاجتماعية التي يحددها المجتمع ويشغلها الأفراد والجماعات، حسب شروط معينة مثل: اختلاف المركز الاجتماعي بين الرجال والنساء، وبين الشيوخ والشباب، وبين الشباب والأطفال، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين صاحب العمل والعمال" (Brown, 1952, 191–192).

وبمقتضى ذلك كله، تكون الوحدات الجزئية الداخلة في تكوين البناء الاجتماعي هي الأشخاص، أي أعضاء المجتمع، الذين يحتل كل منهم فيه مركزاً معيناً، ويؤدي بالضرورة دوراً محدداً في الحياة الاجتماعية العامة، إذ يمكن أنْ نعتبر هذه الرؤية نقطة جوهرية، من وجهة نظر براون، عن فهمه للبناء الاجتماعي، وذلك لأنّ الإنسان كفرد لا يمكن اعتباره جزءاً مكوِّناً للبناء – كما يرى مالينوفسكي – وذلك لأنّه يشكِّل في حيّزه الاجتماعي مجرّد كائن عضوي بيولوجي، يمكن أنْ يتخذ منه علماء الفسيولوجيا والسيكولوجيا مادة ثرَّة لدراساتهم المتنوعة، لهذا يجد "براون" بأنّ الإنسان كشخص "هو

مجموعة من العلاقات الاجتماعية، والبناء عنده مكوَّن من أشخاص كأجزاء، لأنّ المهم عند براون هو العلاقة والروابط الاجتماعية المتبادلة التي تقوم بين هؤلاء الأشخاص أو تلك الزمر الاجتماعية" (عمر، 1992، 22).

ولعلَّ الحوار النقدي الدائر بين كل من "مالينوفسكي" و "براون" حول قضية فهم الفرد كمجرد كائن عضوي، أو على اعتباره مجموعة من العلاقات، قد ارتكزت أصلاً على رؤية الأول بأنّ الأخير قد تأثَّر في تفسيره لهذه المسألة بوجهة النظر الدوركايمية، التي جعلته يتجاهل تماماً الفرد، ويتخلص من العنصر البيولوجي المرتبط به، وبالتالي يُبعده هذا الأمر عن التحليل البنائي الوظيفي للجوانب الثقافية والاقتصادية والتعليمية والتشريعية ... إلخ. ولعلَّ ذلك نابع –وفق تصوّر "مالينوفسكي" –من أنّ "براون" "لا يزال يطوّر ويعمّق رؤى المدرسة السوسيولوجية الفرنسية، ولذلك كان مُتوقَّعاً أنْ يتجاهل الفرد، ولا يعتد بعلم الأحياء" (الصاوي، 1997، 284).

وقد عبَّر الباحث الأنثروبولوجي العربي "أبو زيد" بإيجابية بالغة التحيُّز عن وجهة نظر "براون" عندما قال: "ينبغي أنْ نتذكر دائماً أنّ "رادكليف براون" لم يُهمل الفرد تماماً، في دراسته للبناء الاجتماعي، فلقد رأينا أنه يعتبر العلاقات الثنائية جزءاً مهماً في أي دراسة بنائية وظيفية، وهو الأمر الذي يعترض عليه عدد من كبار الوظيفيين" (أبو زيد، 1976، 105).

ويتضح بالمحصلة النهائية، كيف عبّر "براون" صراحة عن ميله الفكري لـ "دوركهايم" أكثر من ميله لزميله "مالينوفسكي" في تحليله لمفهوم البناء، في تحديد جزئيات مكوّناته المختلفة، وخاصة أنّ الأخير كان أقرب إلى النهج الأمريكي في التركيز على الثقافة في فهم البناء، والذي رفضه "براون" رفضاً قاطعاً.

من هنا تجلَّت وظيفة "براون" الأساسية، والتي أراد تكريسها، والترويج لها من خلال نظريته عن مفهوم البناء الاجتماعي، والتي تدور حول: إلى أي مدى يمكن أنْ تكون قدرة أي مجتمع بشري قابلة للبقاء والاستمرار؟ وهذا ليس بمقدور أحد تجسيده –وفق تصوّره –إلا عن طريق الحفاظ على مقوّمات التماسك الاجتماعي بين جميع أفراد المجتمع؛ الأمر الذي يكشف عن تأثره بتراث المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع. وهذا معناه أنه لا بديل عن تعاون جميع أفراد المجتمع وأنْ يتفاعلوا مع بعضهم بعضاً، وذلك لإيجاد الوحدة الاجتماعية الشاملة. لهذا ركّز على ضرورة اعتبار الوحدة الاجتماعية هي الغاية التي يمكن الحصول عليها بطريق مساهمة جميع الأنظمة الاجتماعية في إحداثها، وهذه المساهمة هي التي تشكّل وظيفة هذه الأنظمة. وبمعنى آخر يشكّل النظام الاجتماعي جملة وظائف أساسية غايتها النهائية تأكيد البناء الاجتماعي الكلي وتقويته. (انظر: تيماشيف، 1974، 321–322).

من المُلاحَظ أنّ تعريف "براون" للبناء الاجتماعي وتحديده لنوع العلاقة الاجتماعية التي تعد أساس هذا البناء، قد أثار مشكلات منهجية عديدة بين العلماء، ما اضطره أخيراً إلى اللجوء إلى عملية التمييز بين نوعين من البناء الاجتماعي، أطلق على أحدهما (البناء الواقعي Buildng Realisitic): وهو عبارة عن مجموعة العلاقات الواقعية المتغيرة بين الجماعات والأشخاص، من حيث هي حقيقة عينية متجسدة أمامنا، تلك العلاقات المُتضمَّنة لدخول أشخاص وخروج آخرين، كما هو الحال في عمليات الميلاد والموت والهجرة والزواج والطلاق ... إلخ، وكل ما يتصل بالعلاقات الاجتماعية الفرعية المتغيرة بين أعضاء هذا المجتمع.

وأمَّا البناء الثاني فأطلق عليه مصطلح (الصورة البنائية Lsstructural): ويعني به ذلك المستوى من البناء الاجتماعي الذي يتمتع بقدر من الثبات النسبي، حيث إنّه من المتوقع أنْ يكون هناك تغير في هذا المستوى ولكن بصورة تدريجية، كما هو الغالب في ظروف الحياة الطبيعية. (انظر: Brown, 1952, 210–211). فكان الغرض من ابتكاره لهذا التصنيف الجديد لمفهوم البناء الاجتماعي، هو الخروج ما أمكن من دائرة الإشكالية الفكرية التي وقع فيها فيما مضى،

وبالتالي يتسنّى له الأمر لإدخال كل العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الأشخاص في المجتمع ضمن منظومة البناء الاجتماعي على اختلاف ما تتمتع به تلك العلاقات من خصائص الاستمرار والثبات، وبغض النظر عمَّا إذا كانت تلك العلاقات تربط بين أفراد أو بين جماعات.

من الواضح أنّ هذا الحوار الفكري قد أتى ثماره منهجياً، عندما تلمَّس "براون" مخرجاً له من هذا الحوار، بابتكاره آلية تصنيف جديدة لمعنى مفهوم البناء الاجتماعي، ارتكزت على فكرتين اثنتين، أُطلِق على إحداهما (البناء الواقعي)، وعلى الثانية (الصورة البنائية)، ومن ثم قدّم تحليلاً علمياً لماهية كل منهما، ودورهما في تقويم البناء الاجتماعي وضمان استمراره. بحيث تكون الحالة الاستثنائية ما قد يتعرَّض له هذا البناء من هزّات اجتماعية فجائية قد تؤدي بالنتيجة إلى تغيرات بنيوية سريعة، وهو "ما يحدث عادة في حالات الحروب والثورات والغزوات، ولكن على الرغم من كل ذلك يظل البناء الاجتماعي متماسكاً، حتى في أعنف حالات التغيرات الثورية" (Brown, 1952, 193–194).

ولعلّ هذا التمييز في مفهوم البناء، كما أورده "براون"، كان مدعاة لتعرُّض نظريته حول البناء الاجتماعي لكثير من النقد، ومن ثم لمحاولات جادة من التعديل والتغيير أو حتى الإضافة، ولاسيما من "جهة تلاميذه المباشرين وغير المباشرين، ممن أتيحت لهم الفرصة للقيام بدراسات حقلية ميدانية في كثير من المجتمعات الصغيرة، حيث استطاع بعضهم أنْ يختبر ما ارتكزت عليه هذه النظرية من مبادئ وأسس نظرية وضعها الأستاذ" (أبو زيد، 1976، 29). ومن هؤلاء التلاميذ: (إيفانز بريتشارد وماير فورتس وريموند فيرث ... وغيرهم)، من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع من أتباع المدرسة الوظيفية، حيث يُجمع أنصار هذه المدرسة على ضرورة الأخذ بالمضامين الفكرية التي تضعها النظريات الاجتماعية، ومن ثم جعل هذه المضامين كأسس نظرية للقيام بالدراسات الحقلية الميدانية.

والواقع، إنَّ هذا التمييز الذي أتى به "براون" حول وجود نوعين للبناء الاجتماعي، يرتبط –بحسب تعبير "أبو زيد"– ارتباطاً وثيقاً بفكرة استمرار البناء الاجتماعي في الزمان، وبخاصة في المجتمعات الثابتة نسبياً، حيث إنّ "استمرار هذا البناء ليس استمراراً استاتيكياً كاستمرار مبنى من المباني، وإنما هو استمرار ديناميكي يشبه استمرار البناء العضوي للجسم الحي، فالكائن العضوي يتجدد بناؤه باستمرار طيلة حياته، وكذلك الحياة الاجتماعية تتجدد باستمرار البناء الاجتماعي" (أبو زيد، 1967، 28).

بهذا يتضح كيف تأثر "براون" بالمنظور التطوري الذي صاغه "سبنسر"، على اعتبار أنّ تطور صور الحياة الاجتماعية العضوية من البسيط إلى المركب، يمكن أنْ يكون بمثابة فكرة أو أداة تحليلية ذات قيمة بالغة، ومن أهم مزايا هذا المنظور، أنه يجعلنا ننظر إلى صور العلاقات الاجتماعية بوصفها تنطوي على عمليات توافقية مع الظروف البيئية، وينطبق ذلك على الأنساق الاجتماعية، وقد فرَّق بين ثلاث عمليات توافقية رئيسية هي:

- الايكولوجية: التي تعني التوافق مع البيئة الطبيعية.
- النظامية: ويقصد بها تحقيق حالة النظام والاستقرار.
- الثقافية: التي تشير إلى عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، واكتساب الخلق والسلوك اللازم للنظام العام.

(انظر: الساعدي، www.ejemay.com، رادكليف: النشأة والتنظير).

ومن جهة أخرى، يتكشّف تأثره أيضاً بـ "دوركايم" عندما اعتنق فكرة التماثل بين الحياة الاجتماعية والعضوية؛ حيث أبدى اهتماماً واسعاً بمفهوم الوظيفية، وبالتالي تقبُّله لتعريف (وظيفة النظام الاجتماعي) الذي أتى به "دوركهايم"، والتي تعني التناظر بين هذا النظام وبين حاجات الكائن العضوي الاجتماعي، إلا أنّه – أي "براون"– يرى ضرورة إدخال بعض التعديلات أو التغييرات على هذا التعريف من أجل رفع الغموض عنه، وما قد يلابسه أحياناً جرّاء التأويل، ولذلك

فضّل أنْ تُستبدل كلمة حاجات التي استخدمها "دوركهايم" بـ اصطلاح (الشروط الفردية للوجود)، فإذا لم يكن ثمة بدّ من استخدام كلمة (حاجات) فيجب أنْ يُفهم منها هذا المعنى وحده، كما أكد على أنّ أي محاولة لاستخدام مفهوم الوظيفة في العلم الاجتماعي لابدّ أنْ تتضمن في الشروط الضرورية لوجود الكائنات العضوية الحيوية، وأنّ في الإمكان اكتشاف هذه الشروط عن طريق البحث العلمي الملائم. (انظر: أبو طاحون، د.ت، 184).

ويتضح مما سبق، أنّ "براون" حاول بالفعل الابتعاد عن استخدام مفهوم حاجات الكائن الاجتماعي التي جاء بها زميله "مالينوفسكي"، حيث استعاض عنها بـ (الشروط الضرورية للوجود)، لأنه كان يريد من كل ذلك تجنُّب التفسيرات الغائية التي تتبنى فكرة وجود أرواح موجهة، أو قوى غيبية أسطورية في الحياة الاجتماعية. ويمكن القول: إنّ ما قدمه "براون" في دراسته الشهيرة عن سكان (جزر الأندومان) – والتي نُشرت نتائجها لأول مرة عام (1922)، أي في السنة نفسها التي نشر فيها "مالينوفسكي" دراسته عن سكان (جزر التروبرياند)– هي في الأساس دراسة نظرية اعتمدت على ربط مفهوم البناء بمفهوم الوظيفة الاجتماعية، والتي تستهدف التحقق الواقعي لافتراضات وفروض كان صاغها قبله "دوركهايم"، وخاصة فيما يتعلق بمفهوم الوظيفة، إذ أوضح كيف أنّ وظيفة الطقوس في مضمونها تكرِّس مبدأ تحقيق التضامن الاجتماعي، الذي تحدث عنه "دوركهايم"، فتبيَّن لـ (براون) "بأنّ شعائر هذا المجتمع (الأندومان) ومعتقداته الدينية، التي تناقلتها الأجيال عبر الزمن، تلعب دوراً رئيساً في تشكيل الحياة الاجتماعية لهذا المجتمع، وبالتالي تُسهم في المحافظة على استقرار بنائه ودوام استمراره" (Brown, 1952, 181).

في هذا المنحى يرى "جيرفيتش Gurvitch" بأنّ "مفهوم البناء الاجتماعي في ميدان علم الأنثروبولوجيا، يماثل (الغشطالت) في محيط علم النفس الاجتماعي، حيث يمثِّل هنا إطاراً للدراسات الأنثروبولوجية، على الرغم من اختلاف المستوى التحليلي في كل من الميدانين، إلا أنهم يتفقون على أهمية النظرة الكلية والتأكيد على استمرارية العلاقات بين الأجزاء، من خلال تلك النظرة الشمولية للكل الذي يحوي بداخله عناصر متساندة متكاملة، برغم تنوعها واختلافها في إطار هذا الكل" (منصور، 2000، 208). وهذا ما يوضح ماهية التشابه بين رأي "جيرفيتش" و "براون"، وذلك من خلال التأكيد على أهمية النظرة الكلية الشمولية للمجتمع، وأيضاً النظر إلى عملية الاختلاف والتنوع ما بين مكونات البناء الاجتماعي باعتباره اختلافاً وظيفياً.

إلا أنّ هذا التقارب في فهم مفهوم البناء ما بين العالمين "براون" و "جيرفيتش"، لا يعني بالضرورة تطابق وجهتي نظرهما التام في تفاصيل جزئيات مفهوم البناء، وهذا ما بدا جلياً في رفض الثاني وبقوة فكرة التفرقة بين نوعي البناء الاجتماعي، التي جاء بها الأول، بل إنه يذهب في اختلافهما إلى أبعد من ذلك، إلى حد اتهام "براون" في "استخدام مفهوم البناء الواقعي أو (المشخص)، بأنّه كان بمثابة الهروب من الوقوع في فخ الالتجاء إلى استخدام فكرة (الظواهر الاجتماعية الكلية) التي قال بها كثير من علماء الاجتماع الفرنسيين، وبخاصة منهم "مارسيل موس"؛ أمّا استخدامه، أي "براون"، لمفهوم (الصورة البنائية) أو البناء الصوري، كان في حقيقته، الهروب مرة ثانية من مواجهة ما قد يتعرض له المجتمع من تفكك وانحلال" (أبو زيد، 1976، 50).

وقد وجدت هذه الأفكار سبيلها إلى مؤسس البنائية الفرنسية "ليفي شتراوس"، الذي كتب مقالة غنية، "قدّم فيها تحليلاً بيّناً لـ (مفهوم البناء الاجتماعي)، بشكل يُظهر فيه موقفه المعارض والصريح لرأي "براون" حول فكرة التفرقة بين البناء الواقعي والصورة البنائية للمجتمع، وذلك على أساس أنّ مفهوم البناء الاجتماعي يختلف كل الاختلاف عن الواقع التجريبي، وإنْ كانت له صلة قوية بالنماذج التي تقوم على هذا الواقع نفسه" (أبو زيد، 1976، 54). في الوقت الذي يظهر فيه تطابق نسبي في وجهة نظر العالم "توماس إليوت Thomas Elliott"، واتفاقه البيِّن مع "براون" في نظرته

للبناء الاجتماعي، على اعتبار أنَّ المجتمع، من الناحية البنائية الوظيفية، هو عبارة عن "مجموعة من الأشخاص الذي يحويهم في إطاره (رجال، نساء، أطفال)، في حالة من التعاون والتفاعل من أجل البقاء والاستمرار" (Fairchild, 1944, 301).

2–مفهوم البناء الاجتماعي عند (برونيسلاف مالينوفسكي 1942–1884 Bronislaf Malinowski):

لقد اتضحت بعضاً من وجهات نظر "مالينوفسكي" وبعض إسهاماته، حول مفهوم البناء الاجتماعي، من خلال ما أوردنا من مقاربة فكرية مع أفكار زميله "براون"، لكن يُفترَض بنا – للإحاطة بمجمل ما قدّم من مساهمات فكرية، حول مفهوم البناء، الذي نحن بصدد تبيُّن ماهيته ومكوِّناته – أنْ نغوص أكثر في بحر إنجازات "مالينوفسكي" الاجتماعية، في ضوء دراساته الاجتماعية التي نفَّذها، في إطار البحث الأنثروبولوجي الحقلي، وبخاصة ما قدّمه من نتاج فكري في كتابه المعنون: (النظرية العلمية للثقافة) عام 1940، حيث يُسجّل له – في كتابه هذا – بأنّه أرسى قواعد منهجية تخص علم الأنثروبولوجيا؛ فضلاً عمّا قدَّمه من إسهامات في مضمار المفهومات الرئيسة للبنائية الوظيفية، وفي مقدِّمتها مفهوم (الوظيفة)، إضافة لمفهومي (الحاجات الاجتماعية Social Needs) و(الحاجات النفسية The Psychological Needs)، حيث أكد بأنّ مهمة النسق الاجتماعي والنظام الاجتماعي تتمحور حول مسألة السعي لإشباع حاجات الأفراد سواء منها الاجتماعية، أم النفسية، أم البيولوجية، أم الثقافية. (انظر: أبو زيد، 1993، 130). لهذا يرى بأنّ "المجتمع البشري والثقافة يمكن فهمهما باعتبارهما الوسيلة التي تُشبع الحاجات الوظيفية والنفسية للفرد الذي يكوِّن المجتمع" (قنوص، 1993، 96).

وقد نظر "مالينوفسكي" إلى مفهوم النظام الاجتماعي كمفهوم أساسي في تحليل الثقافة البدائية إلى عناصرها الجزئية، حيث تسهُل معها الدراسة الوظيفية، وتُفهم من خلالها الطريقة التي تسير بها الأمور في المجتمع، والتي بدورها تعمل على تماسكه ودوام استمراره. من هذا المنظور، فالنظام الاجتماعي عنده ما هو إلا "نسق منظم، وهادف لجهد وإنجاز إنساني" (فهيم، 1986، 130). بذلك تتضح لديه الآليات العلائقية بين فكرتي الوظيفية والعلّة (السببية)، على اعتبار أنّ وظيفة النظام في النسق الاجتماعي تكمن في "دوره وعلّته التي تفسر سائر الوظائف في الأنساق الاجتماعية الأخرى، والتي يصل الأنثروبولوجي إليها عن طريق تحليله الوظيفي لسائر أنساق البناء الاجتماعي" (أبو زيد، 1993، 131). بمعنى أنّ صورة النظام تعبّر بالضرورة عن وظيفته، لأنّ هناك ارتباطات سببية وعلاقات تربط النظم الاجتماعية بعضها ببعض، فعندما نتكلم مثلاً عن وظيفة النظام فإنّما نؤكد دوره في البناء الثقافي والاجتماعي.

إذاً، ليس هناك من شك في أنّ هذا المضمون الاجتماعي لفكرة العلّة (السببية)، ونجاح "مالينوفسكي" في استخدام هذه الفكرة استخداماً اجتماعياً، كان ناجماً حقيقة عن ربطها بفكرة الدور الوظيفي للنظام وللنسق الاجتماعي، وهذا يكشف عن تأثره، كما زميله "براون" بدرجة أو بأخرى، بفكر "دوركهايم"، وبخاصة في سعيه لإيجاد نظرية اجتماعية متكاملة الأركان، تعتمد كأساس فكري يهدف في النتيجة النهائية، إلى إيجاد تحليل منطقي وتفسير موضوعي للظواهر الاجتماعية المختلفة التي يتشكل منها المجتمع الإنساني.

من الواضح أنّ "مالينوفسكي" لم يبخس "دوركهايم" حقه في اجتهاده، كما أنّه لم ينكر عليه إسهاماته الفكرية الجليلة في إطار البحث السوسيولوجي، لا بل اعترف – بكل شجاعة– له ولسائر أعضاء المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع، بكل الاحترام والتقدير على ما قدّموه من إنجازات علمية في المجال الاجتماعي، ولعلَّ في مقدمة أنصار هذه المدرسة عالم الاجتماع "مارسيل موس Marcel Moss"؛ إلا أنّ هذا التقدير البروتوكولي بالاعتراف بالإنجازات البحثية لبعض العلماء في مضمار الأنثروبولوجية، لم يكن ليمنعه من أنْ ينتقد، لا بل ويرفض تماماً التصورات المجردة للبعض حول

بنية المجتمع، في الوقت الذي يجد فيه لنفسه تبريراً بأنْ صبّ جُلّ اهتماماته الفكرية على التكريس الاجتماعي لفكرة الفرد.

بذلك يكون "مالينوفسكي" باحثاً وظيفياً من نوع مغاير، أو بالأصح باحثاً من النمط الذي يتمحور اهتمامه حول مسائل تختلف اختلافاً كبيراً عما يلتقي به مع "دوركهايم" مثلاً، أو حتى مع زميله "براون"؛ في الوقت الذي كان يسعى فيه هؤلاء الباحثون إلى تفسير النظم الاجتماعية وشرح وظائفها، بهدف تبيان إسهامها في الحفاظ على حياة المجتمعات وديمومتها' كان "مالينوفسكي" يعمل باتجاه آخر في سعيه الدؤوب إلى توضيح الآليات التي تعمل بموجبها مجموعة من العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية، لكي تفي بالاحتياجات الجسمية والنفسية للأفراد، وذلك من خلال ما قدَّمه من إسهامات عندما قام بدراسة مجتمع (جزر التروبرياند) في شرق غينيا الجديدة، حيث جاءت هذه الدراسة كمعبّر حقيقي وحي عمّا يمتلك من مكنونات فكرية ثرّة، ولتأتي دراسته الحقلية عن مجتمع التروبرياند، التي تناول فيها النشاط الاقتصادي القائم بين سكان ميلانيزيا الأصليين، هذا البحث الذي "يُعطي صورة للأشكال الاقتصادية والتجارية بين القبائل، حيث يظهر مبدأ التكامل بين النظم المختلفة، من خلال حديثه عن ملامح التنظيم الاجتماعي، والظواهر والملامح الثقافية كالسحر والدين والأساطير، وارتباطها جميعاً بهذه النظم الاقتصادية، التي يبرز فيها نظام الكولا كنوع من تبادل السلع والمنتجات. وهي دراسة استفاد منها كثيراً من دراسة "مارسيل موس" عن الهدية" (أبو زيد، 1993، 132-133).

من هنا فقد اتضح جلياً الاتجاه الفكري لـ "مالينوفسكي"، حينما اهتم بدراسة البناء الاجتماعي من المنظور الاقتصادي للمجتمع؛ في الوقت الذي بدا واضحاً فيه تأثره بأفكار "دوركايم" السوسيولوجية، وخاصة ما تعلق منها بضرورة اهتمام الباحث بالتقصّي عن الحقائق والوقائع الثقافية الكامنة وراء استقرار النظم الاجتماعية، ولعلَّ هذا الاتجاه الفكري الاجتماعي كان مؤثراً لدرجة تصطبغ فيها كل أعماله.

إذاً، على الرغم من أهمية الأفكار الأنثرو- اجتماعية التي جاء بها "مالينوفسكي"، والتي كانت وراء سطوع نجمه كأحد عمالقة الاتجاه البنائي الوظيفي في بريطانيا، إلا أنه يُؤخَذ عليه، من جهة أخرى، تأكيده على تفسير الأنظمة الاجتماعية للمجتمع في إطار توفير الحاجات المادية للفرد، إذ إنّ تفسير أي نظام اجتماعي لابد أنْ يرتبط بالضرورة بطبيعة الحياة الاجتماعية، من جهة، وبنوعية العلاقات الاجتماعية المتشابكة، من جهة أخرى، لأنّ الحاجات الضرورية للإنسان، في أي مجتمع من المجتمعات البشرية، لا تتباين بدرجة كبيرة إلا من خلال الاختلافات الموجودة بين النظم الاجتماعية التي يشتمل عليها بناء المجتمع، كما أنّه – أيضاً – لا يمكن أنْ نفهم هذه الاختلافات أو حتى أنْ نُفسرها فقط في إطار هذه الحاجات، لأنّ ذلك يتعلق بمدى توفرها من عدمه؛ مع العلم أنّ توفر الحاجات المادية – على سبيل المثال – ولو جزئياً أمر ضروري لكي يستمر الجنس البشري وتستمر معه الحياة، حيث لا يمكن لأي كائن أنْ يتخيل وجود مجتمع إنساني ما دون أنْ يكون هناك أفراد وجماعات تعيش في إطار جغرافي واجتماعي ما، كما أنه لايمكن لأحد، في المقابل، أنْ يتصور وجود مجتمع إنساني دون أنْ يكون هناك حاجات فردية وأخرى اجتماعية، تحقق للمجتمع استقراره وديمومة استمراره الكلي.

3- مفهوم البناء الاجتماعي عند (إيفانز بريتشارد 1902- 1973 Evans Pritchard):

عند دراسة كتابات "بريتشارد" الأنثروبولوجية، يُلاحَظ بأنّه لم يُقدم تعريفاً واضحاً للبناء الاجتماعي، لكن يمكن تلُّمس تعريفه لهذا المفهوم من خلال دراسته الحقلية لقبائل النويِّر عام 1940، الذي أوْلى فيها اهتماماً شديداً لدراسة النسق

السياسي كأحد المناشط الاجتماعية المهمة لهذا المجتمع، الأمر الذي جعل منه باحثاً أنثروبولوجياً اجتماعياً بامتياز، ما ميزه عن أستاذيه "مالينوفسكي" و"براون".

هذا التميُّز كان ناجماً بحق عما قدمّه من إسهامات فكرية في إطار البحث الأنثروبولوجي الحقلي، من خلال تعمّقه في دراسة قبائل (النوِّير) في جنوب السودان، ما كشف عن نضج فكري أنثروبولوجي حقيقي اقتاده إلى الخوض في سجالات فكرية نقدية مع أعظم روَّاد الأنثروبولوجية المعاصرين، ونقصد بذلك أستاذيه "مالينوفسكي" و"براون"، حيث بدأت مع هذين العالمين رحلته النقدية للكثير من الأفكار والمفاهيم الاجتماعية المطروحة على طاولة البحث، وبخاصة منها الأفكار التي كانت تعبُر مرحلة التبلور الأولى.

وهنا بدأت تتبلور شخصية "بريتشارد" كباحث وعالم أنثروبولوجي حقيقي، نال احترام وتبجيل معاصريه، وبخاصة أستاذيه اللذين لم يسلما من انتقاده لهما حول مسائل كانت تشكِّل آنذاك حقلاً للجدل الفكري بين أقطاب الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

على هذا الأساس بدأ نقده اللاَّذع لأستاذه "مالينوفسكي" عندما أشار بتجرد العارف والناقد، إلى أنّه – أي مالينوفسكي – رغم نجاحه بجمع أكبر قدر من المعلومات عن (جزر التروبرياند)، إلا أنّه لم يكشف لنا في الحقيقة إلا عن جانب يسير من حياتهم، بينما ظلت الجوانب الأخرى، وبخاصة تنظيمهم السياسي والقرابي، محاطة بالغموض لذلك – وفق تصوّره – "لم ترقَ دراسته أنْ تكون مجرَّد تركيب وصفي للأحداث، فهي ليست دراسة نظرية تكاملية بالمعنى الدقيق"(بريتشارد، 1960، 139–142).

إنَّ تسجيل التلميذ هذا الموقف النقدي الفكري للمعلم مالينوفسكي، أعطى التلميذ المقدرة والشجاعة ثانية للتطاول نقدياً مرة أخرى على المعلم الشهير الآخر "براون"، الذي وقف منه موقف المجادل المقْنع عندما رفض مسألة اعتبار براون أنّ كل علاقة ثنائية بين شخصين هي وحدة من وحدات البناء الاجتماعي، التي تمّ تفسيرها بشكل مفصل في فقرة سابقة؛ في الوقت الذي ركّز فيه "بريتشارد" عندما تطرَّق لدراسته للبناء الاجتماعي، وبشكل خاص، إلى تلك العلاقات التي تربط بين الجماعات المكوِّنة للبناء، تلك الجماعات التي تتميز عادة بدرجة عالية من الثبات والتركيب. (انظر: بريتشارد، 1960، 42). وذلك انطلاقاً من "أنّ هذه الجماعات، لابد أنْ تدوم وتستمر في الوجود، على الرغم من التغيرات التي قد تحدث في عضويتها، والتي تشمل بالضرورة الأفراد المكوِّنين لها" (بريتشارد، 1960، 11).

وقد استند إلى هذه الرؤية من خلال النتائج الموضوعية لدراسته الحقلية لـ (قبائل النويِّر) السودانية، حيث نظر إلى الجماعات الاجتماعية في تلك القبائل من حيث تركيبها على أنها مجموعة من العلاقات القائمة على طابع يتسم بالديمومة والاستمرار، في الوقت الذي يتعرض فيه أعضاؤها للتغير؛ واستناداً إلى هذه الرؤية الاجتماعية، أجاد "بريتشارد" باعتبار (البدنة) و(طبقة العمر) جماعات، وليسوا أقارب؛ من هنا يتضح استبعاده كلياً اعتبار الأسرة جماعة بنائية، إذ ليس هناك – وفق تصوّره – بين الأسر أي علاقات ثابتة ودائمة، كما هو الحال بالنسبة للجماعات، وذلك لأنّ "الأسر تختفي وتزول بموت أفرادها، بينما تظهر أسر جديدة إلى الوجود؛ في الوقت الذي تختفي فيه الأسر القديمة إلى الأبد" (بريتشارد، 1960، 42). والجدير ذكره هنا أن "بريتشارد"، لم يكن يقصد بتاتاً الحط من شأن أهمية الأسر كوحدة اجتماعية من مكوِّنات الجماعات البنائية، وذلك لأنّ للأسرة أهميتها في حفظ البناء وديمومته؛ فضلاً عن أنّها هي المصدر الرئيس للأفراد الذين يؤسسون النسق البنائي ويجدِّدونه، حيث يتجدد بذلك الأساس الذي يقوم عليه النسق، كما أنّه، أي "بريتشارد"، لم يكن يعني بقوله بأنّ العلاقات البنائية والزمر الاجتماعية التي تقوم بينها هذه العلاقات لا

تتغير على الإطلاق، وفي واقع الأمر، فإنّ الأنساق الاجتماعية المختلفة تتغير، ولكن ببطء شديد، ما يتيح للمجتمع الاحتفاظ بشخصيته وخصائصه الجوهرية المميزة. (انظر: أبو زيد، 1976، 33).

كذلك بالنسبة لمفهوم البناء الاجتماعي، فإنّه يفترض ارتباط تلك الجماعات المكوِّنة له، بعضها ببعض، ارتباطاً وثيقاً منتظماً، بحيث تؤلف بمجملها نسقاً واحداً متماسكاً، وفي ذلك المنحى يُلاحَظ اتفاق أفكار "بريتشارد" مع أفكار أستاذه "براون"، على اعتبار أنّ البناء الاجتماعي شبكة من العلاقات تتمتع بدرجات متفاوتة من الثبات أو الاستقرار والاستمرار، إلا أنّ الاستقرار والاستمرار، يرتبطان بمدى استقرار واستمرار الأشخاص والجماعات التي تربط بينهما تلك العلاقات، بهذا فإنّ العلاقات الثنائية، التي يجعل منها "براون" الذرَّات التي يتكون منها البناء الاجتماعي، تبدو على درجة من البساطة النسبية، بمجرد مقارنتها بالعلاقات القائمة بين الوحدات القبلية في المجتمع الذي يقصده "بريتشارد".

إذن، لايمكن فهم البناء الاجتماعي حسب وجهة نظر "بريتشارد" إلا من خلال النظر إلى مبدأ (الانقسام والالتحام)، الذي يُعتبر من الخصائص الأساسية التي يرتكز عليه قيام النسق السياسي في مجتمع النويِّر، كما تبيَّن سابقاً.

بهذا يظهر الاعتراف المُعلَن لـ "إيفانز بريتشارد" بوجود نظم سياسية في المجتمعات الإفريقية التي درسها، إلا أنّه لم يخفِ بالمقابل إنكاره على هذه المجتمعات قدرتها على حُكم ذاتها طِبقاً لتقاليدها السياسية الخاصة، وهذا مردّه لاعتناقه أيديولوجيا وثيقة الصلة بالأجندة السياسية للحكومة البريطانية المنتدِبة، لذلك عمد إلى توظيف خلاصة علمه الأنثروبولوجي والنتائج الاجتماعية – السياسية للأبحاث الحقلية التي قام بها في بعض المجتمعات المُنتَدَب عليها استعمارياً، والتي تناولت بعض البنى الاجتماعية لها، وبخاصة منها دراسته لمجتمع النوِّير السوداني – في خدمة المصالح العليا للحكومات البريطانية المتعاقبة؛ الأمر الذي جعل المدرسة الثقافية الأمريكية تدعو بكل ثقلها إلى تغيير آليات الهيمنة السياسية على المجتمعات النامية، باعتماد مبدأ جديد، يكون ذلك بالعمل على "تحويل الإدارة غير المباشرة إلى إدارة ذاتية يتحقق معها الاستقلال السياسي لتلك المجتمعات" (فهيم، 1986، 155).

لذلك أكد "بريتشارد"على ضرورة اعتبار الأنساق الاجتماعية المكوِّنة للبناء الاجتماعي "أنساقاً خلقية أو رمزية، وليست أنساقاً طبيعية، وأنها لا تهتم بالشكل التخطيطي العام، وأنّ غايتها بالتالي هي الكشف عن الأنماط والنماذج، وليس الوصول إلى القوانين" (بريتشارد، 1960، 99). وهو بذلك يختلف مع أستاذه "براون" الذي يرى أنّ غايته من الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، التي قام بها حول البناء الاجتماعي، هي الوصول إلى القوانين، وبالتالي تعميمها على جميع المجتمعات.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول بأنّ مفهوم البناء الاجتماعي– كما يتصوره "بريتشارد"– كبناء خلقي، يُقصد به نسق العلاقات المجرَّدة والقيم السائدة، التي ترتبط بدورها بسائر الجماعات البنائية المكوّنة للمجتمع، ليتبلور بذلك التركيب البنائي عند "بريتشارد" على هيئة تركيب بين مجرَّدات؛ وذلك من كونها تتسم بميزتين متكاملتين: "الأولى هي اهتمام هذه الدراسات بإظهار التساند والتفاعل القائمين بين النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع، بشكل لم يتوفر في كثير من الدراسات الأخرى. والميزة الثانية أنّ البحث الأنثروبولوجي لابد أنْ يُكتَب على مستوى معين من التجريد" (بريتشارد، 1960، 10).

الاستنتاجات والتوصيات

الاستنتاجات :

يُستَنتَج ممَّا سبق: إنّ دراسة مفهوم البناء الاجتماعي، من وجهة النظر التحليلية، في الحقيقة هي دراسة متعددة الجوانب، فإذا كان "براون" يؤكد على دراسة الجوانب الشخصية، ويركز على العلاقات الثنائية بين الأشخاص، ويذهب إلى أنّ غاية المجتمع تتمحور حول مسألة الحفاظ على النظام الاجتماعي، وبالتالي يكون هدف كل مكوِّن من مكوِّنات البناء، هو تحقيق النظام والتوازن الاجتماعيين؛ بينما نجد أنّ "بريتشارد" لا يرى في البناء الاجتماعي إلا الجانب الثابت المرتبط بدراسة الزمر الاجتماعية، التي تتميز بدرجة عالية من الديمومة والتركيب؛ في الوقت الذي يرى فيه "مالينوفسكي" أنّ غرض وجود المجتمع وغايته من ذلك يرتبطان بمسألة إشباع الحاجات البيولوجية للبشر.

وبذلك يكون كل ما قدَّمه هؤلاء العلماء، حول مفهوم البناء الاجتماعي، يقع ضمن تأثيرات انتمائهم للمدرسة البنائية الوظيفية، التي ترمي إلى تحليل بنى المجتمع ودراستها من ناحية، والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى. بهذا يمكن القول بأنّه على أيدي هؤلاء المفكرين الأوائل، تم إكساب مفهوم البناء الاجتماعي معانيه الأنثروبولوجية النهائية، التي تأثر بها – فيما بعد – معظم علماء الغرب والشرق.

لكن يمكن التأكيد بأنّه، وقبل أنْ تتبلور النتاجات الفكرية لكل من "براون" و "مالينوفسكي" في إطار الأنثروبولوجية الاجتماعية، كان لروَّاد السوسيولوجيا الأوائل، ممن سبقوهم في هذا المضمار المعرفي الاجتماعي، بصماتهم الواضحة وإسهاماتهم الجليلة في إطار دراسة البناء الاجتماعي بشكل عام، ولكن دون الخوض أو التعمُّق كثيراً في دراسة وتحليل الوظائف التي تؤديها الأنساق والنظم والعناصر المكوِّنة لهذا البناء، على النحو الذي قام به فعلاً رُوّاد الاتجاه البنائي الوظيفي للمدرسة الأنثروبولوجية البريطانية، الذين أوْلوا اهتماماً بارزاً للآليات الوظيفية التي تقوم بها أجزاء البناء ضمن حدود البناء الاجتماعي الكلي للمجتمع؛ على الرغم من أنّ هذا الرعيل، من روّاد الأنثروبولوجيا الناشئة، كان يركِّز جُلَّ أبحاثه الحقلية لدراسة جانب أو حتى جوانب معينة في البناء دون سواها، وهذا ما فعله "مالينوفسكي" في دراسته لسكان جزر التروبرياند عندما انكبَّ على دراسة السحر والشعوذة، والنظام الاقتصادي، دون غيرهما من الأنساق والنظم الاجتماعية الأخرى، بما يُفضي بالنتيجة إلى الحصول على بيانات حقلية قد لا تفي الحقائق العلمية حقها الموضوعي، فتأتي النتائج العلمية على غير ما تصبو إليه جهود الباحث، ولتصبح هذه النتائج البحثية عُرضة للتفسيرات الخاطئة، التي تضلل توجيه التغيير العام في المجتمع، ما يُؤثر بالمحصلة على الأهداف العلمية التخطيطية التنموية لهذا المجتمع.

أمَّا "براون" فقد وجّه جُلّ اهتمامه بشكل رئيس على دراسة النظم والوظائف التي كانت تؤديها هذه النظم، ارتكازاً إلى آليات التساند الوظيفي، بما يحقق للمجتمع استقراره وديمومته. وهذا ما كان منه عندما اندفع بكل ثقله المنهجي لدراسة (الأساطير والمعتقدات والعادات) لدى سكان جزر الأندمان.

في حين اقتصر "بريتشارد" في دراسته لمجتمع النوير على تحليل النظام السياسي فيه فقط؛ في الوقت الذي انحصر فيه تركيزه على دراسة نظام السحر والكهانة في مجتمع الأزاندي، بما يحقق لهذه المجتمعات استقرارها الاجتماعي العام.

وفي حقيقة الأمر لم يُلاحَظ خروج "بريتشارد"، في دراساته الحقلية المتعددة، من دائرة تناول ظاهرة اجتماعية بعينها، ليبحث في تشابكاتها البنيوية، ودون أنْ يجد ضرورةً للخوض في الظواهر الاجتماعية الأخرى وبشكل أكثر تفصيلاً، وهذا ما جعل من أفكاره عُرضة للنقد من قِبَل المهتمين بالعلم الأنثروبولوجي ودراساته الحقلية.

الخلاصة:

مما تقدَّم، نستخلص بأنّه مهما اختلفت وجهات نظر العلماء الأنثروبولوجيين الاجتماعيين، أو تباينت توجُّهات وأهداف دراساتهم وبحوثهم الحقلية والنظرية، **حول مفهوم البناء الاجتماعي**، فإنّهم – رغم هذا **الاختلاف** الواضح– **متفقون** على أنّ **لكل مجتمع صورة أو نمطاً معيناً**، يقع في إطار نسق أو بناء يُعرَف بـ (البناء الاجتماعي) للمجتمع، الذي بدوره يشتمل على كمٍّ من الأنظمة والعلاقات والعناصر الاجتماعية الجزئية المتعارف عليها بينهم، والتي تشارك في صياغتها كل أفراد المجتمع سواء بسواء.

قائمة المراجع

المراجع العربية

1- ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004.

2- أبو زيد، أحمد، البناء الاجتماعي (الأنساق)، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1967.

3- أبو زيد، أحمد، البناء الاجتماعي(المفهومات)،ج1،ط5، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1976.

4- أبو زيد، أحمد، المدخل إلى البنائية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، 1995.

5- أبو زيد، أحمد، الطريق إلى المعرفة، منشورات مجلة العربي، الكويت، 2001.

6- أبو زيد، أحمد، المعرفة وصناعة المستقبل، وزارة الإعلام–مجلة العربي، الكويت، 2005.

7- أبو زيد، محمود، أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، ج2، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1993.

8- أبو طاحون، عدلي، في النظريات الاجتماعية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت.ن.

9- إسماعيل، قبّارى محمد، أسس البناء الاجتماعي، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1989.

10- إنكلز، إلكس، مقدمة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1993.

11- الحسيني، السيد، نحو نظرية اجتماعية نقدية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.

12- الحسن، إحسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1999.

13- الحنفي، عبد المنعم، المعجم الشامل، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.

14- الجباوي، علي عبد الله، الفكر الأنثروبولوجي في التراث الفكري العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1996.

15- العادلي، فاروق، الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1984.

16- العثمان، وسام، الدخل إلى الأنثروبولوجيا، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق،2002.

17- براون، رادكليف، البناء الاجتماعي، ترجمة عبد الحميد الزين، مجلة مطالعات في العلوم الاجتماعية، القاهرة، 1991.

18- بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1981.

19- بوتومور، تمهيد في علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1984.

20- بريتشارد، إيفانز بريتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1992.

21- تيماشيف، نيقولا، نظرية علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1974.

22–جباوي، علي، الأنثروبولوجيا، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1997.
23–جدنِّز، أنتوني، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة أديب يوسف شبش، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.
24–جوردن، مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، المجلد الأول، د.م.ن، د.ت.ن.
25–حجازي، محمد فؤاد، البناء الاجتماعي، ط2 ، دار غريب للطباعة، القاهرة،1982.
26–خاطر، أحمد مصطفى وآخر، بناء النظرية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1995.
27–دوركايم، إميل، في تقسيم العمل الاجتماعي، ترجمة حافظ الجمالي، اللجنة اللبنانية للترجمة، بيروت،2010م.
28–دياب، عز الدين، دراسات أنثروبولوجية تطبيقية، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، دمشق، 2006.
29–زايد، أحمد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف،القاهرة، 1981.
30–سميث، شارلوت سيمور،موسوعة علم الإنسان، ترجمة أحمد زايد وآخرون، المجلس الأعلى للثقافة، د.م.ن 1998.
31–صالح، ناهد وآخرون، بحوث في الأنثروبولوجيا العربية(مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد أبو زيد رائد الأنثروبولوجيا العربية)، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة،2022م.
32–فهيم، حسين، قصة الأنثروبولوجيا، سلسلة عالم المعرفة، عدد 98، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.
33–فرح، محمد سعيد، البناء الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2020م.
34– قنوص، صبحي محمد، علم دراسة المجتمع، الدار الجامعية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1993
35–كاريذرس، مايكل، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، عدد229، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
36–كريب، إيان، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، عدد244، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1999.
37–كوبر، آدم، الثقافة: (التفسير الأنثروبولوجي)، ترجمة تراجي فتحي، سلسلة عالم المعرفة، عدد 349، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2008.
38–محمد، محمد علي، تاريخ علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1985.
39–مسلم، عدنان أحمد، محاضرات في الأنثروبولوجيا، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001.
40–منصور، هالة، محاضرات في علم الأنثروبولوجيا، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2000.
41–ماكيفر، شارلز بيدج، المجتمع، ج3، ترجمة سمير نعيم أحمد، مكتبة النهضة المصرية، 1971.
1- Ibn Khaldun, Abdul Rahman, Introduction, Vol. 1, Ed. 1, Dar Yarbu, Damascus, 2004.
2- Abu Zeid, Ahmed, Social Construction (Structures), Vol. 2, General Egyptian Book Organization, Cairo, 1967.
3- Abu Zeid, Ahmed, Social Construction (Concepts), Vol. 1, Ed. 5, National House for Printing and Publishing, Cairo, 1976.
4- Abu Zeid, Ahmed, Introduction to Structurism, National Center for Social and Criminal Research, Cairo, 1995.

5- Abu Zeid, Ahmed, The Road to Knowledge, Publications of Al-Arabi Magazine, Kuwait, 2001.
6- Abu Zeid, Ahmed, Knowledge and Future Industry, Ministry of Information - Al-Arabi Magazine, Kuwait, 2005.
7- Abu Zeid, Mahmoud, Symbols of Contemporary Western Social and Anthropological Thought, Vol. 2, People's House for Publishing, Distribution, and Advertising, Libya, 1993. 8- Abu Tahoun, Adli, in Contemporary Social Theories, Modern University Office, Alexandria, n.d.
9- Ismail, Qabbary Mohamed, Foundations of Social Construction, Ma'arif Institution, Alexandria, 1989.
10- Incluz, Alex, Introduction to Sociology, translated by Mohamed Al-Jawhari and others, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1993.
11- Hussaini, Sayed, Towards a Critical Social Theory, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1985.
12- Hassan, Ehsan Mohamed, Encyclopedia of Sociology, Arab House for Encyclopedias, Beirut, 1999.
13- Hanafi, Abdel Moneim, The Comprehensive Dictionary, Ed. 3, Madbouli Library, Cairo, 2000.
14- Jabawi, Ali Abdullah, Anthropological Thought in Arab Intellectual Heritage, Publications of the Union of Arab Writers, Damascus, 1996.
15- Adli, Farouk, Cultural and Social Anthropology, Dar Al-Kitab Al-Jame'i, Cairo, 1984.
16- Al-Othman, Wissam, Introduction to Anthropology, Al-Ahali for Printing and Publishing, Damascus, 2002.
17- Brown, Radcliffe, Social Construction, translated by Abdel Hamid El Zein, Studies in Social Sciences Journal, Cairo, 1991.
18- Badawi, Ahmed Zaki, Glossary of Social Science Terms, Lebanon Library, Beirut, 1981. 19- Bottomore, Introduction to Sociology, translated by Mohamed Al-Jawhari and others, University Knowledge House, Alexandria, 1984.
20- Burchard, Evans Burchard, Social Anthropology, translated by Ahmed Abu Zeid, Ma'arif Institution, Alexandria, 1992.
21- Timashev, Nicola, Sociology Theory, translated by Mohamed Al-Jawhari and others, Ed. 3, House of Knowledge, Cairo, 1974.
22- Jabawi, Ali, Anthropology, Publications of Damascus University, Damascus, 1997.
23- Giddens, Anthony, Capitalism and Modern Social Theory, translated by Adeeb Yousef Shabsh, Publications of the Syrian General Authority for Books, Ministry of Culture, Damascus, 2008.
24- Gorden, Marshall, Encyclopedia of Sociology, translated by Mohamed Al-Jawhari, Volume 1, n.d.
25- Hajazi, Mohammad Fouad, Social Construction, Ed. 2, Gharib Printing House, Cairo, 1982.
26- Khattar, Ahmed Mustafa and others, Building Social Theory, Modern University Office, Alexandria, 1995.
27- Durkheim, Emile, On the Division of Social Labor, translated by Hafez Al-Gamali, Lebanese Committee for Translation, Beirut, 2010.
28- Diab, Aziz Al-Din, Applied Anthropological Studies, New National House for Publishing and Distribution, Damascus, 2006.

29- Zaid, Ahmed, Sociology Between Classical and Critical Trends, Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1981.
30- Smith, Charlotte Seymour, Encyclopedia of Anthropology, translated by Ahmed Zaid and others, Supreme Council of Culture, n.d., 1998.
31- Saleh, Nahed and others, Research in Arabic Anthropology (Dedicated to Professor Dr. Ahmed Abu Zeid, Pioneer of Arabic Anthropology), Publications of the Research Center for Social Studies, Faculty of Arts, Cairo University, 2022.
32- Fahim, Hussein, The Story of Anthropology, World of Knowledge Series, Issue 98, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1986.
33- Farah, Mohamed Saied, Social Construction, University Knowledge House, Alexandria, 2020.
34- Qanoush, Sobhi Mohamed, Study of Society Science, University House for Publishing, Distribution, and Advertising, Libya, 1993.
35- Carrithers, Michael, translated by Shoukry Jalal, World of Knowledge Series, Issue 229, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1998.
36- Cribb, Ian, Social Theory from Parsons to Habermas, translated by Mohamed Hussein Ghalloum, World of Knowledge Series, Issue 244, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1999.
37- Kuper, Adam, Culture: (Anthropological Interpretation), translated by Taraji Fathi, World of Knowledge Series, Issue 349, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 2008.
38- Mohamed, Mohamed Ali, History of Sociology, University Knowledge House, Alexandria, 1985.
39- Muslim, Adnan Ahmed, Lectures in Anthropology, Al Obeikan Library, Riyadh, 2001.
40- Mansour, Hala, Lectures in Anthropology, University Library, Alexandria, 2000.
41- MacIver, Charles Page, Society, Vol. 3, translated by Sameer Naeem Ahmed, Al Nahda Egyptian Library, 1971.

المراجع الأجنبية

42-Barnes, Social Instructions, n. y. 1942.
43-Brown, Radcliffe, Structure Function In primitive Society, Cohen and West, London, 1952.
44-Biesanz and Biesanz, Modern Society, N.Y.1954 .
45-Comte, auguste, The positive philosophy, Harriet Martineau and John Chapman, 1953.
46-Dubin, Robert, Theory Buliding, New York, The Free Press, 1978.
47-David, p, Social Anthropology, St pual, SHouse Lane London, 1975.
48-Firth, R., primitive Economics of the New Zealand Maori, London, 1929.
49-Fair child, H.(ed), Dictionary of Sociology, N.Y. 1944.
50-Lumle, frederick, principals of sociology, and ediction mc Graw Hill Book Coppany Inc, N.Y. and London, 1935.
51-Lund berg, and Others, Sociology, N. y. 1958.
52-Martin dale And Monachesi, Elements Of Sociology Harper And Brothers, N.Y.1951.
53-Nadel, S.F. The Foundations of Social Anthropology, London, 1951